نافذة

الإنسان خطِرٌ

جداً وأشد المخلوقات عملاً وعلماً وجهلاً وخوفاً وهلعاً، فهو السهل الممتنع، القوي اللين، الصلب المنكسر، القادر المتجبر، المنتقم العطوف، الرؤوم الحليم، المحب الكاره، القائد والجندي، الرئيس والمرؤوس، العابد والمتمرد، الأمين والخائن، وإلى ما يحمله من صفات الصلف، وجميعها تركع أمام الوقائع المذهلة والعنيفة على أرض تخصّه، مهما حاولوا إسقاطها نجده واقفاً مستعداً لإسقاط بعضه، وخاصة من أولئك المارقين أو الفاسدين أو الخونة أو المعتدين، فالجغرافيا خاصته تمثل له البيت الواسع، حيث ترى فيه الجميع مهتمين بالحفاظ عليه، فتثق بهم، لكن لا يمكنك أن تثق بالشر المسكون في داخلهم، وما اختياري لهذا العنوان إلا بدوافع التنبه من خلال ما مررنا ونمر به، الذي حفر عميقاً في الذاكرة الإنسانية، وما يحمله عنواني رغبات صادقة تدعو لشحذ الهمم وإيقاظ الفكر وتحليل الدروس والعبر وإثارة النخوة والمروءة وتغذية الكرامة، وهنا لا أزعم بأني أقدم لكم جديداً، إنما أذكركم باستبعاد ما نردده دائماً من مقولات تحمل في طياتها الاستكانة والاستهانة، فالكرامة تحتاج إلى القيم والأخلاق، والعزة تدعو للعمل والالتزام والانتماء بالأداء، صحيح أننا تعرضنا لغزو شامل أصاب ما يخصنا بكارثة هائلة، وشهدنا منه الوحشية والهمجية، وتابعنا كناجين من أهواله قتل الأطفال وحرق الرجال والنساء وتدمير الحياة المادية، ومن الضروري استمرار استذكار هذه المشاهد المرعبة التي لا شك أنها ستمنع العودة إلى حدوثها، وأننا أيضاً أدركنا أن سبب حدوثها هو فسادنا ونفاقنا وتفرقنا وعدم تمسكنا بصيغ التلاقي وإيماننا بأرضنا وحدودها، وأن نطور مفاهيمنا التي استكانت لأفكارنا المتحولة إلى مسلمات، فسهل غزونا من كل الجوانب، ولولا البعض من الإنسان لكنا في خبر كان.

من يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال: هل الإنسان هو ألد وأخطر أعداء الإنسان وأشد مخلوقات الكون عنفاً وإجراماً وإرهاباً؟ فمهما بلغت قوة القوانين الروحية التي هضمها مع المشروبات الروحية كي يصنع منها الوضعية المادية لم تمنع تطوير خطره، حقاً يستطيع الإنسان أن يصادق أي شيء من المخلوقات إلا الإنسان الذي لا يدري متى ينقلب عليه رغم اختراع الأنثى له والوصول تاريخياً وروحياً لفلسفة التزاوج والسكنى من خلال الميثاق أو العقد أو الاتفاق، إنه في لحظة يتم تدمير البناء ويهدم، ولذلك كتبت ذات مرة أن صداقة مع الكلب تنجح، ومع الإنسان تفشل، وقلت: كلب صديق في حينها خير من صديق كلب، لأن الصديق إذا استكلب كانت الطامة الكبرى، فكيف به إذا تحول إلى عدو أو استعدى آخر؟ هذا الإنسان الذي ولد مقاتلاً شرساً صنع بفكره الحروب من باب أنه يريد كل شيء، وازداد نهمه وشرهه أكثر.

تفكروا في هذا، هي مصارحات وخواطر فكرية، أخطُّ معها تساؤلات عن هذا الإنسان الذي ولد في الغاب، وفهم قوانينها، وخرج منها إلى مدنيته، وقال عنها: إنها شرائع الغاب، ونظم القوانين من أجل تدميرها، إلا أنه في حقيقة الأمر مارس أعنفها، ومازال يمارس تحت أثواب ادعائه بالمدنية استعباد بعضه واستغلال الأضعف، وأكثر من صحيح أن الإنسان لا يقدر أن يواجه الحياة بأيد فارغة، فكيف به يواجه الآخر من جنسه بالأيادي ذاتها؟ مؤكد أنه سيخضع له، والسؤال الأصعب هو: كيف قدر الآخر على التملك وبقي الكثرة دونه، طبعاً باستخدام العقل والإصرار على الاستثمار فيه؟

إن الإنسان عندما يفقد تصالحه مع ذاته يغدو عدو نفسه، ومن ثم تتطور عداواته، فتظهر على الآخر، وهنا أقول: التاريخ لا يعيد نفسه، إنما نخطئ الخطأ القديم ذاته، فيغدو المشهد متطابقاً، هذا يحدث لحظة عدم إدراكنا حجم ما جرى، ونبني أو نعيد البناء من دون الاستفادة مما حدث.

هل يمكن لغاصب أو معتد أو إرهابي ادعاء الحفاظ على إنساننا ووحدة بنائه وسلامة وجوده؟ ألا تكون أهدافه الأولى والأخيرة هي النهب والقتل والتدمير واستلاب الأرض واستباحة العرض؟ إنه إنسان مثلنا تماماً، مهما اختلف مسمى الدولة التي يحيا عليها، فهو الذي يقودها، وأياً كان دينه أو معتقده أو لونه أو من أي قارة أو في القارة ذاتها، فالمشكلات معه حصراً، أي مع الإنسان الذي يقود الحياة، يستثمر الأرض ويستكشف الفضاء، يزرع الزرع ويحصده، ينبش الأرض ليستخدم ما فيها لمصلحته، يصطاد الطير في السماء، ويغوص إلى أعماق البحار، يشكم الحيوان، يستفيد منه، يربيه ثم يأكله أو يركبه، إنه العدو الأول والأخير لجنسه ولكل الأجناس، كيف يكون ذلك؟

ألا نتفكر كيف نتجه للإله؟ نعبده أو نؤمن به، أو نثق به، فالإنسان لديه مقدس قرآني إنجيلي توراتي بوذي إلى كل من يؤمن بشيء ما يعبده أو يقدسه، الكل لديه الوصايا العشر، وقيم ومبادئ مستخلصة من عبادته، وهي جميعها تدعو للإنسانية والحفاظ عليها، وأهم ما فيها: لا تقتل، لا تزنِ، لا تحلف باسم الله بالباطل، لا تخن ولا تأكل مال اليتامى، ولا تشته ما لغيرك «جنس أو مال».

كيفَ بنا نؤمن بذلك ونفعل بإصرار كل ذلك، وتعلو الكثرة الحسد والغيبة والنميمة والاعتداء واستلاب الحقوق؟ مادامت عقولنا متمسكة بوثنياتها فنحن في خطر، وأرى أن سوادنا الأعظم يتوارثها، لأن أي تطور في المعتقد بظنهم سيقلب هذا المعتقد رأساً على عقب، وهذا يؤكد الابتعاد عن الجوهر الإنساني الجامع، لأن الجوهر إيمان، والمظهر أديان وعقائد وأفكار، هذه التي أوجدت حالة سكون في المعتقدات، منعت عن مريديها أي تطور أو تحديث، على الرغم من أن إنسانها يحمل قيمة ليست بالزهيدة ولا الخفيفة في ميزان الحياة، هذا الإنسان الذي يدفن الإنسان في القبور، ثم يقوم بذاته من دون لغة بأجنحة من صفاء الفكر وإبداع العقل وسلامة المنطق، هذا الإنسان الذي رفع مثله للحق في الفكر، هو ذاته الذي يهدمها بالضغينة، هذا الإنسان الذي وضع بمنزلة القداسة هو ذاته شيطان الحياة.

هذا الإنسان المبدع في الخير والشر، سواده اتكالي وغيبي وظلامي انعزالي وانهزامي، مشعوذ يؤمن بالخرافة، رغم أنه كائن خرافي أزلي، هل يقدر هذا الإنسان على إنجاز التعاون الصادق مع أخيه الإنسان، أياً كان موقعه أو طبقته أو لونه؟ هذا ما أدعه برسم عقولكم أنتم معشر بني البشر القلقون باستمرار على مصائركم، حيث طمأنينتكم لا تألف أجواء القلق والخوف والحزن والفساد، هل نحن أبناء العصور المتأخرة الغابرة المقتنعون بأن الحضارة لا يمكن لها أن تبلغ كمالها من غير الحزن والرعب والقلق والألم؟ وهل يمكن لأي مجتمع أن يتمدن من دون أن يقسو على بعضه وتضغط عليه الحياة إلى أن يجد السبيل الذي يأخذ بيده إلى صناعة التحضر؟ وهل من يرغب في أن يبقى متأخراً؟ لا أعتقد إذاً أين تكمن المشكلة.

متى ننتفض على التسليم؟ أليس من يقود الإنسان إنساناً مثله نظيره في الحياة؟ فمن ينظم شؤون الإنسان إنسان، أليس الأخذ بيده وتحفيزه على الحياة أفضل من تركه لتعبث به يد الفوضى الإنسانية؟ وإذا كنا نؤمن بأننا قادرون على صناعة التحضر ألا ينبغي أن نري بعضنا أفعالنا، فتتقوم من خلال تبادل العلم والمعرفة؟ وإن كنا نمتلك حضارة، أليس الأفضل أن نذيعها وننشرها على الملأ، فنرى الجمال ونعمل على إزاحة القبح بتصنيع جمال بديل منه؟ يجب ألا ننكر أن الإنسان الحقيقي يحتاج إلى القوة ليحمي بها أسرته ومجتمعه ووطنه، ومن دونها يفسح المجال كي يستبيحه الإنسان الخطر.

د. نبيل طعمة

الشعر الفصيح يستهوي شباب العصرنة والتكنولوجيا

٢/٢

ثاني جزئية... وما زالت الموسيقا تُطوّع القصيدة وتليّن الحرف ليندمج إحساساً بالمغنى

سوسن صيداوي

العربية... لغة، وهي أمة، بل أيضاً هي جذر عميق متأصل، وبالتالي... لغتنا العربية هي الحضارة. إن شعرنا الفصيح واجه التحديات والتغييرات والتطورات –منذ الجاهلية وكل الفتوحات– ولكنه بقي الحرف الثابت والرصين، ضمن كلمته معبّراً عن كلّ الشجون والعواطف المزوجة بحسن الكلام، وحتى اليوم نجد فصاحتنا الشعرية مبجّلة من الأبناء الشباب، فالعصرنة والميديا والتقلبات السريعة العاصفة، حتى بالنوتات الموسيقية... أجل على الرغم منها كلّها وأكثر، إلا أن الشباب يصغي للشعر، ويستهوي مثلاً كلاً من جلال الدين الرومي والحلّاج، حتى إنهم يوغلون في الجاهلية إلى الحداثة، واضعين سمّاعات الأذن «الهدفون»، هازين الرؤوس متابعين سير الإيقاع لموسيقا البوب وغيرها مما أرسل لنا الغرب. هذا عدا مساعي النجوم للحصول على الأغاني الأكثر استماعاً وانتشاراً، وهو ما يهم شركات الإنتاج، لهذا يغوص البحث عميقاً في صفحات الشعر القديم، لاختيار كلام الأغنيات– وكأنّ الشعر العامي أو المحكي في كلامه أصبح مكروراً ومستهلكاً– من قصائد لـ: الحسين بن منصور الحلّاج، أبي تمام، البحتري، المتنبي، امرئ القيس وغيرهم، ليحولوها إلى أغنيات مسموعة وحيّة إلى وقت طويل، هذا إضافة للتجارب المستمرة لغناء أشعار نزار قباني كما يفعل كاظم الساهر وماجدة الرومي، أو قصائد محمود درويش كما فعل مارسيل خليفة وأميمة الخليل وسميح شقير. ما زلنا متابعين في الجزئية الثانية من الشعر الفصيح ونستمر بقائمة من العمالقة إلى الجيل الشاب من المغنين، مما قدموه ونال استحسان الجماهير المصغية.

أعطني الناي وغنّ

«لا.. نحن نتحدث عن الأصوات التي في الأرض.. وليست تلك الأصوات القادمة من السماء». هذا كان جواب الموسيقار محمد عبد الوهاب عندما سُئل عن صوت السيدة فيروز، التي لطالما تمتعت بروح البساطة والسلاسة البعيدة عن أي تعقيد في غنائها للأغاني العاميّة، وبالتالي هذه الروح نفسها والأسلوب ذاته لم يختلفا في تأديتها لأغاني القصائد الفصحى، التي عبرت خلالها واستحوذت قلوب كل المستمعين على اختلاف أعمارهم وتنوع مستويات ثقافتهم. ومن القائمة الطويلة– التي فيها الكثير من الموشحات والأندلسيات– نذكر: «زهرة المدائن» كتبها وقام بتلحينها الرحابنة، «أعطني الناي وغنّ» المنتقاة من قصيدة المواكب لجبران خليل جبران ولحنها الملحن نجيب حنكش، وأغنية «سكن الليل» من أشعار جبران أيضاً وألحان محمد عبد الوهاب. «سنرجع يوماً» من كلمات الشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد وألحان الرحابنة. قصيدة «أهواك بلا أمل» من ألحان وكلمات زكي ناصيف. «يا عاقد الحاجبين» وأغنية «يبكي ويضحك» من شعر الأخطل الصغير وألحان الرحابنة. وأيضاً ضمت السيدة فيروز لقائمتها من أشعار سعيد عقل منها: «مرّ بي»، «غنيت مكة»، «سائلي يا شآم» و«يا شام عاد الصيف»، «خذني بعينيك»، «سائليني»، «شام يا ذا السيف»، و«قرأت مجدك». حتى إنها غنت من قصائد الشاعر نزار قباني ومنها: قصيدة «وشاية»، « موال دمشقي» وأخيراً «لا تسألوني ما اسمه حبيبي».

أنت الحبيب

عندما طرق صوت مطربة الأجيال ميادة حناوي مسامع العمالقة الكبار، جعل الدموع تخرج فاضحة، واعتبر النقّاد أن أبرز ما يميّز صوت الحناوي إضافة إلى كم الحزن العميق فيه، هناك الشجن الذي يخرج عبر إحساسها في الأداء، هو الشجن نفسه الذي نستذكره في أداء ناظم الغزالي ومحمد البكار وأسمهان وفريد الأطرش. ميادة الحناوي شاهدة وحاضرة في زمن العمالقة الأصيل، ومن خلال حنجرتها الفريدة وصوتها الموهوب، مع قدرتها وتمكّنها من اللغة العربية وسلامة مخارج الحروف لديها، أجادت غناء القصيدة الفصحى، على غرار قصيدة «ثورة الشوق» من ألحان سيد مكاوي، وقصيدة «دعوة للحب» لحن بليغ حمدي، وموشح «أنت الحبيب» لحن محمد الموجي.

عيناك ليال صيفية

في الحديث عن القصيدة الفصحى المغناة دائماً يرد اسم الفنانة ماجدة الرومي، التي تتمسك بشدة بهذا النوع من الغناء وكانت السباقة من أبناء جيلها في تقديمه، معتبرة لهذه الأغاني قيمة فنية خاصة ترفض التنازل عنها، ومن البدايات تكون القائمة الطويلة، مع أولى القصائد التي غنتها وهي «اليوم عاد حبيبي» من ألحان أبيها حليم الرومي وأشعار عبد الجليل وهبي. ونتابع مع أبرز القصائد من خلال تعاونها مع الشاعر نزار قباني في: «بيروت ست الدنيا»، «كلمات»، «الجريدة»، «أحبك جداً»، «طوق الياسمين». كما تعاملت مع الشاعرة سعاد الصباح عبر قصيدة «كن صديقي». و«اعتزلت الغرام» وهي من كلمات ماجدة الرومي نفسها بالتعاون مع الشاعر نزار فرنسيس ومن ألحان ملحم بركات. وأغنية «عيناك ليال صيفية» وهي من أنجح أغانيها، من كلمات الشاعر أنور سلمان، وألحان الموسيقار جمال سلامة. وأيضاً «آدم وحنان» هي أغنية فيلم «الآخر» الذي عرض عام ١٩٩٩، للمخرج العالمي يوسف شاهين، والقصيدة من كلمات الشاعر جمال بخيتو ألحان فاروق الشرنوبي. ولابد لنا من أن نذكر أغنية «حبيبي» التي أهدتها الفنانة الرومي للفنان أحمد زكي، وهي من كلمات نهى نجم ونزار فرنسيس، وألحان أداجيو ألبينوني. وأيضاً نذكر«أشتاق إليك» كلمات الناصر، وألحان الدكتور عبد الرب إدريس، وأخيراً «طلي بالأبيض» التي غنتها الفنانة في حفل زفاف ابنتها، محققة الأغنية انتشاراً واسعاً في حفلات الزفاف، وهي من كلمات نهى نجم، وألحان مندلسون وجان ماري رياشي.

زيديني عشقاً

تمكّن الفنان كاظم الساهر من خلال صوته ورقة ألحانه من أن يبدع مع الشاعر نزار قباني، الذي ارتبط اسم الساهر به، في تعاون امتد في العديد من القصائد أشهرها: «إني خيرتك فاختاري» والتي غنّاها من دون علم قباني، الأخير الذي تجاوز الأمر بسبب النجاح الذي حققه تلحين القصيدة وغناؤها. «أشهد أن لا امرأة»، «زيديني عشقاً»، «قولي أحبك»، «مدرسة الحب»، «كل عام وأنت حبيبتي»، «صباحك سكر»، «إلى تلميذة»، «هل عندك شك»، «الحب المستحيل»، و«قولي أحبك» وغيرها الكثير من القصائد. وأيضاً من القصائد المشهورة التي غناها الساهر لشعراء آخرين، مثل أغنية «كثر الحديث» وهي قصيدة للشاعر كريم العراقي، و«تارك أهل» للشاعر عزيز الرسام، وقصيدة «بغداد لا تتألمي» للشاعر فاروق جويدة.

تلومني الدنيا

من جانبها الفنانة لطيفة التونسية، جذبتها القصيدة الفصيحة وحذت حذو نجوم الغناء العربي، مقدمة لنا أكثر من قصيدة للشاعر نزار قباني، كما لحنها الفنان كاظم الساهر، وهي: «يا قدس»، «تلومني الدنيا»، «العاشقين».

أحبائي

في الأغنية الوطنية، برعت المطربة اللبنانية جوليا بطرس بها مع إجادتها للقصيدة الفصحى، ونذكر لكم هنا قصيدة «أحبائي» للملحن زياد بطرس، وهذه الأغنية كانت قدمتها بطرس عام ٢٠٠٦، مستلهمة كلماتها من خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، و«أحبائي» لاقت رواجاً كبيراً في الشارع اللبناني، بل انتشرت من المحلية إلى العالم العربي. وأيضاً من القصائد الفصحى التي غنتها جوليا وهي أيضاً وطنيّة، أغنية «أطلق نيرانك» وهي من كلام نبيل أبو عبدو، التي تتمتع بحسّ مقاوم ضد الاحتلال، مع التمسك بالقضية الفلسطينية على غرار قصيدة «حاصر حصارك» للشاعر محمود درويش التي غنتها السيدة ماجدة الرومي.

> ميادة الحناوي شاهدة وحاضرة في زمن العمالقة الأصيل ومن خلال حنجرتها الفريدة

أجراس العودة

في الحديث عن الالتزام باللغة العربية الفصحى، وفي إجادتها وتقديمها عبر الشعر الفصيح المغنّى، لا يجوز لنا إهمال قامة فنية عريقة، ملتزمة بالعروبة والفن الأصيل، لطفي بوشناق الذي غنى العديد من الشعراء القدماء منهم على سبيل الذكر، عمر بن الفارض حيث غنى قصيدته المشهورة «تواضعت ذُلا». كما غنى قصيدة «أجراس العودة» التي ألف كلماتها الشاعر السوري عماد الدين طه ومنها نقدم لكم:

أجراسُ العودة إن قُرِعَتْ
أو لمْ تُقْرَعْ فلمَ العجلةْ؟
لو جئنا نقرعُها حالاً
كانتْ «دُمْ تكُ» كالطبلةْ
فالعُرْبُ بأخطرِ مرحلة
وجميع حروفهُمُ علّةْ
أغرتهم كثرتهمْ لكنْ
وبرغمِ جموعهمُ قلّةْ
وبوادي النّمْلِ إذا عَبَروا
سَتموتُ منَ الضحكِ النملةْ

المحكمة

قدمت الفنانة أسماء المنور قصيدة «المحكمة» في ديو مع كاظم الساهر، معتبرة أن غناءها باللغة العربية الفصحى تجربة مميزة تتمنى تكرارها باستمرار، لأنها تطمح إلى تقديم فن هادف.

المتنبي... مسافراً أبداً

في التعريف بالعنوان أعلاه «المتنبي...مسافراً أبداً»، هو عمل موسيقي يستلهم سيرة وشعر الشاعر أبي الطيب المتنبي، يُغنى فيه شعر المتنبي بلغات عالمية، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ليكون بذلك احتفاء عالمياً بالمتنبي، من غناء: عبير نعمة، وألحان: عبير نعمة، جورج نعمة، وسام كيروز.

عربي أنا

اعتمد الفنان يوري مرقدي الفصحى في أغاني أول ألبومين أصدرهما، وما استغربه منه الجمهور والنقاد، بأن التزامه بالعربية الفصحى لم يكن لمجرد الاختلاف، بل لأنها اللغة التي خرجت بها مشاعره من تلقاء نفسها، رغم ثقافته الأجنبية وأنه كان سيئاً في دراسة اللغة العربية، حتى إن خبراته السابقة في الغناء والموسيقا كانت ذات نزعة غربية، فقلد أسس فرقة تعزف الروك مع المغنية اللبنانية كارول سماحة زميلته في الجامعة. ومن الأغنيات التي عرف بها نذكر لكم: «عربي أنا»، «ماذا أقول لأذني»، «خطيرة أنتِ»، «حبس النساء»، «أخي آدم»، «معلمة الكيمياء».

قلبي علينا

لا يمكننا أن نغفل التجارب التي قدمها الموسيقي إياد ريماوي، سواء من خلال الموسيقا التصويرية في مسلسل الندم لمخرجه الليث حجو، عبر أغنية «قلبي علينا» شعر عدنان العودة وشاركت الريماوي في الغناء: كارمن توكمه جي. هذا ولا يمكننا أن نغفل أيضاً ما قدّمه لنا عبر ما أطلق عليه تسمية «مشروع غرفة تسجيل» حيث أصدر ريماوي «معشر العشاق» شعر الأصمعي، من ألحان إياد ريماوي وشاركته الغناء كارمن توكمه جي، وأغنية «عجبت منك» شعر الحلاج، ألحان وتوزيع إياد الريماوي، وغناء ربى الحلبي.

أحب يديك

أصدرت فايا يونان أول عمل غنائي لها «لبلادي» عام ٢٠١٤ بمشاركة أختها ريحان، تصف الأغنية الدمار الذي سببته الحروب بأوطاننا العربية، حقق العمل نجاحاً منقطع النظير وتمت ترجمته إلى عدة لغات. بعدها تابع المشوار وغنت قصائد معظمها من ألحانها نذكر منها «أحب يديك»، «في الطريق إليك» كلمات مهدي منصور، وقصيدة علي بن الجهم «أبلغ عزيزاً في ثنايا القلب منزله»، وأيضا «تزنّر بعطري تزنّر وحارب بعطري» كلمات لما القيّم، وأخيراً «نم يا حبيبي نم» كلمات الشاعر موفق نادر ألحان وتوزيع مهند نصر.

موطني

غناء القصيدة الفصيحة هو فخ يقع به الفنان غير المتمرّس أو المدرك لأهمية وصعوبة أداء لغتنا، من خلال لفظ مخارج الحروف، الأخيرة المتميزة بحضورها وقوتها التي لا تحتمل أي نوع من الدلع أو التخفيف من لفظ الحرف، وهذا الأمر لم تحسبه الفنانة إليسا عندما سعت بتجربة فاشلة بأن تقدم أغنية «موطني»، حيث واجهت الانتقادات الشديدة بسبب استخدامها لحرف التاء لتنطق الكلمة بـ«موتني».

إذا هجرت

على حين تميّزت الصاعدة نينا عبد الملك عدا أسلوبها وصوتها المطواع، أيضاً في اختيارها وأدائها لقصيدة «إذا هجرت» للشاعر العباسي الصوفي أبي عبد الله الحسين بن منصور، المعروف بـ«الحلاج»، وتمكنت من تقديمها بطريقة عصرية على إيقاع موسيقا البوب.

كلمات في الحب

إيمان النايف

الحب ثقافة بمعنى حضارة أي إن الحضارات تبنى على الحب فالحب تهذيب للسلوك الإنساني البري والمتوحش فكلما تقدم المجتمع نحو الحضارة عرف ثقافة الحب. وقل لي ما حال الحب في بلادك أقل لك من أنت وأين بلادك، وأين ثقافتك على خريطة الحياة.

وعلى طريق نشر ثقافة الحب.. ألقيت في مركز ثقافي أبو رمانة محاضرات سميتها كلمات في الحب.. علّها تلاقي.. أثراً في نفوسنا.. وأحببت أن أنشر بعضاً مما ألقيت.

أحياناً في لحظة حزن لا نريد أكثر من عناق، ولا نريد في لحظة انكسار أكثر من لمسة حنان ولا نريد في لحظة حاجة أكثر من دعاء ولا نريد في لحظة قلق أكثر من اهتمام.

الحب هو أن تشعر أنك مسؤول عن روح تمكث داخل قلبك.. إظهار الحب ليس ضعفاً.. كونوا أقوياء وأظهروا الحب لمن تحبون، فالحب كالحرب التي من السهل أن تشعلها، ولكن من الصعب أن تخدمها.. أو تستمر شعلتها.. إذا أحببت فعبر وإذا أخطأت فاعتذر.. وإذا اشتقت فتكلم، كن بسيطاً فنحن نعيش مرة واحدة.

فالإنسان منذ ولادته يولد يُحب أمه فلو لم تكن تحبه لما عانت في ولادته ويكبر كي يحبها ويبدأ في حب الحياة، ومنذ أن تبصر عيناه الضوء فيحب والده وبيته ومدرسته وأصدقاءه ويكبر وهو يحبهم ثم يجد ذلك القلب الذي خلق لأجله.. فيحبه أيضاً، ويتزوج وينجب ويحب أطفاله وبيته ووطنه وعمله.

صحيح أن حكايا الحب كانت دائماً أحلى الحكايا وأحبها إلى قلب الإنسان.. منذ كان الإنسان، فالحب نبتة وحشية تنمو في أعماق المرء في كل زمان ومكان في الحرب والسلم، المراهقة والكهولة.. في كهوف العصر الحجري، في ناطحات السحاب وسفن الفضاء.

ولحكايا شهداء الحب جمهور كما لشهداء الأرض ولقصص روميو وجولييت وقيس.. وعطيل وغيرهم من شهداء الغرام، جمهور لا يقل عن جمهور نابليون وطارق بن زياد.

وكيف يتجلى الحب إلا بالعطاء؟

وهل العطاء غير القيام بالواجبات المفروضة.. بهدف الوصول إلى شيء ما.. أو التضحية بشيء ما.

فالشخص الذي لم ترتفع به نفسه عن مستوى الأخذ فقط إن هو إلا شخص لا يستطيع أن يمر بخبرة العطاء إلا من خلال نفسه وطمعه، أما بالنسبة للإنسان الناضجة شخصيته فنجد أن للعطاء عنده معنى آخر يمثل أعلى درجات القوة وكأن لسان حاله يقول: في إطار العطاء فقط أشعر بقوتي وبأنني أمتلك شيئاً وبأنني قادر.. فليس الغنى أن يمتلك الإنسان الكثير ولكن الغنى يعني كثرة العطاء، ولو الكلمة الطيبة.

هذه الخبرة الحية الممتلئة بالنشاط والقوة تملأ نفسي بالسعادة.. العطاء يدخل على نفسي السعادة أكثر مما يفعل الأخذ، ليس لأن العطاء بالنسبة لي يعني التضحية بشيء ما، ولكن لأنني في داخل إطار العطاء ومفهومه أشعر بأني قادرة على التعبير عن طاقتي وحيويتي كإنسان.

وكي نصل إلى مرحلة الحب المتكامل يجب أولاً أن نصل إلى التسامح المتكامل ومنه إلى الحب، والذي سيقودنا إلى مرحلة العطاء لأنك لن تستطيع أن تعطي من دون الحب ولن تستطيع أن تحب من دون التسامح، فالأمور الثلاثة: التسامح، الحب، العطاء مرتبطة ببعضها فلا تستطيع أن تصل لواحد منها دون الآخرين.

وذلك ما يوصلنا إلى سر السعادة التي تقوم على الحب والرفق ونبذ العنف.

ولا أقول إن الحب بدعة استحدثها أهل القرن الحادي والعشرين أو أنه كشف جديد قد أزاح عنه علماء هذا العصر، بل أقول إن الحب لم يكن في يوم من الأيام شغل الناس الشاغل كما هو الحب في عصرنا الحالي.

ولكن هل تعلمنا كيف نحب؟ هل مدارسنا وجامعاتنا مؤهلة لتعليم ثقافة الحب، نضيف إليها وسائل الإعلام..؟

إن الحب أشبه ما يكون بالنور.

إننا جميعاً نعرف ما هو ولكن لا أحد يستطيع أن يقطع على وجه التحديد بالعناصر التي يتكون منها ونجد شاعراً مثل دانتي يقرر أن الحب قوة كونية كبرى لأنه هو الذي يحرك الشمس وباقي الأجرام السماوية.